اللغة السومرية ونشأتها

م.م نهاد حسن حجي

جامعة واسد – كلية الآداب

في الألف الخامس قبل الميلاد ظهرت ولاية سومر القديمة في بلاد مابين النهرين وهي ولاية قريبة من الخليج العربي ، والشعب الذي استقر فيها وأتخذ من وادي نهر الفرات الأسفل موطنا له سمي بالسومريين ،وأسس السومريون هناك أحدى أقدم حضارتين عرفهما التاريخ البشري (حضارة وادي الرافدين في العراق وحضارة وادي النيل في مصر) ، وقد اختفى السومريون من على مسرح الأحداث مطلع الألف الثاني قبل الميلاد ، ولا نعلم على وجه الدقة من أين جاءت تسمية سومر أكانت على أسم تلك الولاية الجنوبية العراقية القديمة أم أن الشعب السومري الذي أستقر فيها وأقام دولته هو الذي منحها أسمه . (١)

يختلف الشعب السومري تماما في اللغة والجنس عن الاكديين فهو يمتلك لغة

(١) سليمان، د.عامر ،محاضرات في التاريخ القديم ، الموصل،١٩٧٨ ، ص٢٧.

فريدة لامثيل لها فهو الذي ابتدع الكتابة المسمارية التي تختلف تماما عن اللغة الاكدية ولا تمت لها بأية صلة قرابة سوى أعارتها كتابتها المسمارية والتي هي عبارة عن رموز مقطعية يبلغ عدد رموزها خمسمائة رمز تكتب من اليسار إلى اليمين ونادرا ما تكتب من الأعلى إلى الأسفل ، ولم تكتف السومرية بذلك فقط بل أثرت فيها من خلال إدخال مفردات ومصطلحات وعبارات سومرية كثيرة ولا سيما عند تدوين الوثائق اليومية ، لا بل أن التأثير أمتد إلى ابعد من ذلك حيث أمتد إلى أسلوب تركيب الجملة ومكان الفعل فيها مما أدى إلى ظهور حاجة ملحة إلى تأليف ما يشبه معاجم ثنائية اللغة للتعريف باللغة السومرية

ومفرداتها ومصلحاتها الفقهية والقانونية ولمساعدتهم في فهم النصوص السومرية سيما وان استخدام اللغة السومرية بدا يتقلص تدريجيا وينحسر ، فان ما وصل من اللغة السومرية قليل جدا إذا ما قيس بما متوفر من أثار اللغة الاكدية . (١)

.....

١) باقر ، طه، مقدمة في تاريخ الحضارات القديمة ، بغداد، ١٩٧٣، ص٧٣

تاريخ اللغة السومرية

لقد حدد عالم المسماريات الألماني (أدم فلنكشتاين) في كتابه(١) مراحل

اللغة المسمارية إلى:

١-العصر السومري .

٢-العصر ما بعد السومري .

وقسم العصر الأول إلى المراحل التالية :

أولا: المرحلة الاركائية (٣٠٠٠- ٢٦٠٠ق.م) وتسمى بمرحلة النصوص الاقتصادية ،عثر على معظم هذه النصوص في مدينة الوركاء في مواقع (تل نصرة) و(تل القصر) وأور و(تل فارة) ولعل نصوص المواقع الأخيرة هي التي زودتنا ببعض المعلومات عن قواعد اللغة السومرية .

ثانيا: المرحلة السومرية القديمة (٢٦٠٠-٢٣٥٠ق.م) عثر على معظم نصوص هذه المرحلة في مدينة لكش وأور وارب (تلول بسماية حاليا) ومعظم هذه النصوص اقتصادية فضلا عن ظهور أول النصوص الأدبية في هذه الرحلة التي عدت المادة الأساسية لدارسي قواعد اللغة السومرية .
ثالثا : الاكدية القديمة : وتسمى أيضا بالمرحلة السرجونية أو فترة الاحتلال ألكوتي (٢٣٥٠-٢١٤٠ ق.م) وقد دونت نصوص هذه المرحلة باللغة الاكدية وهي نصوص قليلة جدا إذا لم نقل نادرة. (١)

.....

(١) حنون، نائل –المعجم الاكدي، ج١ ،بغداد ، ٢٠٠١ ، ص ٦٤

ابعا : المرحلة السومرية الحديثة (٢١٤٠- ٢٠٢٠ ق.م) تضمنت نصوص هذه المرحلة بالإضافة إلى النصوص الاقتصادية نصوصا قانونية ووثائق قانونية ، عثر على مخلفات هذه المرحلة في (تل الهيا) واوما وبزرش وأور ولعل النصوص الأدبية دونت في هذه المرحلة كما أن النصوص الملكية كانت قصيرة ومركزة.(١)

إما ما بعد العصر السومري فقد قسم إلى :
أولا: مرحلة العصر البابلي القديم (٢٠٢٠- ١٨٥٠ ق.م) هذه المرحلة قريبة في نصوصها من نصوص المرحلة السومرية الحديثة من الناحية الكتابية واللغوية ويضاف إليها استنتاجات نقلت عن نصوص أدبية سبق تدوينها في
المرحلة السابقة ويعود تاريخ هذه الاستنتاجات بين عامي١٨٠٠-١٧٠٠ق.م .
ثانيا :مرحلة العصر البابلي القديم المتأخر(١٨٥٠-١٦٠٠ ق.م) تعود إلى هذه

المرحلة الكتابات الملكية لسلالتي لارسا وبابل وهي نصوص اقتصادية وقضائية فضلا على بعض المؤلفات الأدبية وتختلف لغة هذه النصوص بشكل واضح عن
لغة نصوص المرحلة السابقة .(٢)

.....

(١)الأحمد ، سامي سعيد ، التحديات في العصرين البابلي الحديث وألمتآخر في العراق ، بغداد ، ١٩٨٨ ، ص ٨٤

(2)Albright – W.F. from the patriarchs to Moses from Abraham- BASOR 36(1973) –p7-25 .

(٢) ثالثا: مرحلة ما بعد العصر البابلي القديم (١٦٠٠-١٠٠٠ق.م) تحتل النصوص لأدبية موقعا خاصا ضمن مجموعة نصوص هذه المرحلة ويعود تدوين هذه لنصوص أصلا إلى المرحلتين :السومرية الحديثة والبابلية القديمةالمبك رة ولكنها وصلتنا عن طريق نسخ يعود تاريخها إلى الألف الأول والألف الثاني قبل الميلاد هيأت لعلماء السومريات تحديد التغيرات التي ساهمت في التطور اللغوي المدون للغة السومرية عبر عصور حضارة العراق القديمة ومن ا لملاحظ إن تلك التغيرات تكمن في جوهر المادة اللغوية الأصيلة التي تم من خلالها التعرف على أصول اللغة الاكدية .
وتضم نصوص هذه المرحلة أيضا نصوص اكدية من نفس الفترة مما ساعد في إلقاء الضوء على قواعد اللغة السومرية باعتبارها لغة محكية خلال المرحلتين الأخيرتين حيث حلت اللغة الاكدية محلها ولكنها استمرت بشكل أخر حيث استعملت كصيغة اختزال في اللغة الاكدية عن طريق تدوين المقطع بالرمز السومري للكلمة المراد كتابتها بدلا عن تدوين لفظها الاكدي لكنها تقرا باللفظ الاكدي ومثال ذلك إن الكاتب الاكدي حين يدون كلمة(رجل)فانه بدل أن يدون المقاطع (أ- و-لوم)التي تؤلف كلمة (اويلم) أي رجل في الاكدية نراه يدونها بالمقطع الرمزي (لو٣) الذي يعني رجل بالسومرية ولكنه يقرأها بلغته.(١)

.....

.(١) ألأحمد ، سامي سعيد ، مصدر سابق ، ص٨٩

لهجات اللغة السومرية وخصائصها:

بعد أن أفل نجم الحضارة السومرية بظهور الاكديين كقوة جديدة على مسرح الأحداث ليس لها أي مقومات حضارية قام السومريون بتدوين اللغةالاكدية التي لم تزل فتية لاتمتلك سوى اصواتا قليلة بمسماريتهم حيث واجه السومريون صعوبات جمة في تدوين اللغة الاكدية التي اضطروا إلى كتابتها بمسماريتهم لأنها لغة أسيادهم الجدد ،يلاحظ الباحث والمدقق تشوهات كثيرة وقعت على اللغة الاكدية لان الأصوات الحلقية فيها ولاسيما الحاء والعين حيثلم تستطع المسمارية السومرية أن تعبر عنهما بشكل كاف وواف للمستشرقينالذين فكوا رموزها وراحوا يكتبونها بالحرف اللاتيني تجاوزا للصعوبات في تعلم قراءة رموزها المسمارية. تسمى اللهجة الرئيسية لدى السومريين ب(ايمي- س- سا٢) ،وقد أوردت النصوص المعجمية المتأخرة تسميات عن لهجات أخرى : (١)

١- "ايمي- كال" وتعني اللغة العظمى .
٢-" ايمي-سوكود(- دا) وتعني اللغة العليا .
٣- "ايمي – سوخ – (-آ) وتعني اللغة المصفاة .
٤-" ايمي" – تي- نا" وتعني اللغة الملتوية.

أن هذه التسميات تشير إلى أساليب أدبية رفيعة ولكن من الصعب علينا إن

.....

.(١) حنون ، نائل ، المعجم ألأكدي ، مصدر سابق ص٧٢

نميزها في التراث السومري المدون ، بالإضافة إلى هذه التسميات ترد تسميات أخرى بأساليب لغوية أخرى تقترن بمهن معينة:

١- "ايمي- ما٢-لاخ٤- آ " وتعني لغة الملاحين .
٢- "ايمي-اودولا" وتعني لغة الرعاة .
٣- ايمي – سال " وتعني أمل بالاكدية ولهذه اللهجة مكانة خاصة في الأدب السومري حيث وصفها الاكديون بأنها لغة الجدل وقد استخدمت هذه اللغة في نصوص أدبية تعود إلى مرحلة العصر البابلي القديم المبكر

أنواع النصوص السومرية

تعد النصوص المسمارية أهم ما تم الكشف عنه من اثأر العراق وهذه النصوص كثيرة ومتنوعة في مضامينها وموضوعاتها وقد تجاوزت أعدادها عشرات الآلاف ويمكن حصر هذه الأنواع بما يلي : (١)

١- الحوليات : وهي عبارة عن نشرات ملكة تصدر بعدة نسخ تتحدث عن انجازات الملوك العسكرية والعمرانية ،وكانت بداية هذا النوع من النصوص الملكية في العصور السومرية المبكرة وهي أما أن تكون بسيطة وموجزة أو تكون معقدة تضم اسم الملك وألقابه وما قدمه للإلهة وبمرور الزمن تطور هذا

.....

(١) الراوي ، فاروق ناصر ، حضارة العراق ، بغداد ، ١٩٨٥ ، ص٢٧٧

النوع من النصوص لتضم الأعمال العسكرية أما حسب الأقاليم أو حسب تسلسل

السنين.

٢- كتب الأخبار البابلية: وتغطي هذه الأخبار حقبتين زمنيتين الأولى في القرن الثامن قبل الميلاد وتنتهي بسقوط بابل سنة ٥٣٩ق.م والثانية تغطي أخبار البلاد بعد سقوط بابل وحتى القرن الثالث قبل الميلاد مع انقطاع لمدة نصف قرن

توقفت خلالها عملية جمع وتدوين الإخبار ثم استؤنفت بعد ذلك وتمتاز كتب الأخبار هذه بتناولها الإحداث حسب التسلسل الزمني كما أنها تشير إلى أحداث وقعت في أزمان مختلفة في بابل وأشور والشام ومصر وعيلام أي أنها تجاوزت النطاق المحلي مما يعكس رغبة صادقة في كتابة تاريخ البلاد وما جاورها.(١)

٣- الرسائل: تتركز مواضيع الرسائل الرئيسية على التقارير اللغوية فهي مكتوبة من قبل موظفين أو أرسلت إلى موظفين أو أنها أرسلت إلى الملك واغلب هذه الرسائل تحمل اسم حاكم احد الأقاليم الأمر الذي مكن الباحثين من تحديد الفترة الزمنية للرسائل للاستفادة منها في موضوع البحث.

.....

(١) حجي ، نهاد حسن ، اليهود بين النصوص المسمارية وأسفار العهد القديم ، رسالة ماجستير غير منشورة ، ٢٠٠٥، ص٤٢

٤- المنحوتات: تحتل المخلفات المادية مكانة الصدارة بين الآثار العراقية المكتشفة، ويرجع الفضل في تعرفنا تفصيليا على تاريخ العراق والدول المجاورة إلى تلك المخلفات المادية التي تشمل المئات من القطع الفنية والنصب التذكارية والمسلات التي تطورت صناعتها وبمرور الزمن مع انتشار الكتابة المسمارية ، ولقد صورت لنا تلك المخلفات مشاهد وأخبار الحروب والانجازات السياسية والعسكرية بالإضافة إلى نقلها مشاهد مختلفة من حياة الملوك كل في بلاطه ولعل المعتقدات الدينية وفكرة الخلود لديهم سببا في تشييدهم المعابد والألواح الجدارية إضافة إلى أنها تعد من مظاهر القوة والعظمة التي كان يتمتع بها الملوك وغالبا ما تجاوزت الكتابة المسمارية المكان المخصص لها وغطت أجزاء من اللوح المنحوت ما يشير إلى مدى اهتمامهم بما تتضمنه تلك الكتابات.(١)

.....

(١) حجي ، نهاد حسن ، مصدر سابق ، ص٤٣-٤٤ .

حل وقراءة النصوص المسمارية

حلت رموز الكتابة المسمارية وقرئت في أوربا ولقد اتفق العلماء على استخدام الحروف اللاتينية مع بعض التحوير اللازم لكتابة ألفاظ المقاطع المسمارية ورسم الاكدية والسومرية وكل اللغات القديمة التي استعملت الخط المسماري ولعل ألأصل في ذلك يعود إلى صعوبة حل مشكلة الحركات الإعرابية المستعملة في اللغة السومرية والاكدية مما اضطر العلماء إلى استخدام اللاتينية كي تعوض حروف العلة فيها تلك الحركات.

ولو استعرضنا الحروف المستخدمة في اللغتين السومرية والاكدية لوجدنا أن استعمال الحرف العربي أوثق صلة وأكثر ملائمة من الحرف اللاتيني الذي لاصلة لغوية أو حضارية لع بالنصوص السومرية والاكدية .

أما ترجمة النصوص المسمارية بما يقابلها من اللغة الاكدية فهي ليست سهلة لان ذلك يتطلب إجراء مقارنات بين النصوص المتوفرة في هاتين اللغتين بحيث تكون هناك معالجة واضحة لعملية النقل الكتابي للكلمات الاكدية . (١)

.....

(١) حنون ، نائل ، مصدر سابق ، صر٧٨

وختاما نقول :
أن الكتابات العراقية القديمة على الرغم من تعقد مواضيعها والفترة الزمنية الطويلة التي استغرقتها عملية حل رموزها إلا إن أهميتها وثرائها الحضاري هو العامل الذي دفع الباحثين في أن يستمروا في حل رموزها، لكي تنتفع الإنسانية منها .

لمصـــــادر

١- سامي سعيد ألأحمد ، التحديات في العصرين البابلي الحديث والمتأخر في العراق في مواجهة التحديات ، بغداد ، ١٩٨٨.
٢- طه باقر ، مقدمة في تاريخ الحضارات القديمة ، بغداد ، ١٩٧٣
٣- د. عامر سليمان ، محاضرات في التاريخ القديم ، الموصل ، ١٩٧٨ .
٤-فاروق ناصر الراوي ، حضارة العراق ، بغداد ، ١٩٨٥ .
٥- فاضل عبد الواحد علي ، من ألواح سومر إلى التوراة ، بغداد ، بدون تاريخ .
٦- نائل حنون ، المعجم المسماري ، ج١ ، بغداد ، ٢٠٠١ .
٧-نهاد حسن حجي ، اليهود بين النصوص المسمارية وأسفار العهد القديم ، رسالة ماجستير ، ٢٠٠٥

8- Albright . W.F. from the patrichs to mosses from Abraham –BA SOR - 36- 1973.